إسهامات علماء وأعلام الجبل الغربي (نفوسة) في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

د. المبروك محمود صالح سليمان
قسم الاثار الإسلامية–كلية الاثار والسياحة– جامعة طبرق
00218926392645 /الواتس
Mabruk.ms1973@gmail.com

أ. عبد الحميد ابسيس شعيب
قسم التاريخ– كلية الآداب– جامعة طبرق
0917708323 /الواتس
ebsisabdu@gmail.com Email

الملخص:

ان تاريخ أعلام وعلماء الجبل الغربي موضوع جدير بالبحث والدراسة، لأهمية هذه الظاهرة الحضارية التي ارتبطت بتاريخ الجبل الغربي عبر فتراتها الزمنية. فإذا كانت بعض المناطق ارتبطت بها صفات مميزة تشتهر بها عن غيرها، فإن الجبل الغربي تفخر بأنها قد اشتهرت بالعلم ومكان للعلماء، ففيها كانت الكثير من مكتبات التي احتوت على الكثير من المخطوطات من نتاج الفكر الإنساني عند أهل نفوسة وباقي مناطق الجبل الغربي. وقد شغُف علماء الجبل بنَسْخ أشهر المصَّنفات على اختلاف أنواعها وفنونها، كما أسهموا في تأليف الكتب بمختلف الاتجاهات الفكرية، فأغنوا المكتبة الإسلامية برصيد لا يُنكَر، وقد استمر الإنتاج العلمي والفكري متواصلاً رغم أحلك الظروف السياسية التي كانت تمّر على البلاد في بعض الحِقَب التاريخية.

وجاء الاهتمام بالدراسة لما لها من أهمية مختلفة الأنماط: كونه منطقة ليبية، فكان من الواجب دراسة تاريخها حبا وعرفانا، إلى جانب ذلك فإن الجبل الغربي غني من الناحية الفكرية والعلمية مما يجعله مؤهلا للدراسة؛ دراسة تاريخية جادة، تقوم بالتعريف بخصوصيته الفكرية والعلمية وبأعلامه وعلمائه، إذا ما قيس بعدد الدراسات التي تناولت مناطق أخرى من بلادنا، خاصة وأن هذا الموضوع مازال يحتاج للمزيد من الدراسة.

ولقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وذلك لدراسة مختلف الجوانب المتعلقة بإسهامات علماء وأعلام الجبل الغربي (نفوسة) حتى الوصول إلى أدق وأعم النتائج وذلك من خلال استعراضنا لكافة الجوانب التي أشارت للموضوع.

ومن أهم نتائج الدراسة: أصبح لجبل نفوسة مكانة علمية وثقافية في بلاد المغرب، فقصده الطلاب من خارج الجبل فدرسوا في مساجده ومدارسه، ورجعوا إلى أوطانهم حاملين معهم علوم الجبل ونشروها في مختلف البقاع.

الكلمات المفتاحية: (الجبل الغربي– جبل نفوسة – العلماء – اعلام– ليبيا).

المقدمة:

تعد دراسة اعلام وعلماء الجبل الغربي خلال فترات زمنية متعددة، محاولة قد تفسح المجال للوقوف على الجهد

الذي قام به هؤلاء العلماء في دفع عجلة الحياة الثقافية والفكرية بالجبل الغربي، فجبل الغربي كغيرها من المناطق الليبية شهدت وعبر عصورها المختلفة نشاطا ثقافياً مميزاً، كما أنه امتاز بإيواء واحتضان الحضارة العربية الإسلامية واحتواء عدة مذاهب التي لها مشاركة الفعلي في تمثيل الحياة العلمية التي كان فضلها كبيراً على البلاد في الوقت الذي كانت البلاد تغط في التخلف العلمي.

وقد كان لعلماء واعلام الجبل خلال العصور الإسلامية والعثمانية وأثناء الاحتلال الإيطالي حركة التأليف والنسخ وغيرها. كما أن كثير من الزوايا وانتشارها في أرجاء الجبل الغربي يدل على النزعة العلمية في العصور السابقة، وهذه السمة الحضارية مكنت الجبل من الاحتفاظ بأصالته العلمية والحضارية بدليل وجود العلماء والأدباء وانتشار المدارس والكتاتيب في جميع احيائها.

-أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة من خلال الآتي:

- تحاول الدراسة إبراز أهمية الجبل الغربي العلمية ومدى تأثيرها على الجوانب الأخرى.

-إظهار الدور العلمي لمنطقة الجبل الغربي ومدى تأثيرها على سكان الجبل.

- إن الدراسة تحاول تحليل وتمحيص المصادر والمراجع التي تناولت تلك الفترة لاسيما المعربة من خلال كتاباتها.

- أهداف الدراسة:

لهذه الدراسة أهداف تمثلت في:

- التعريف بمشايخ وعلماء وأعلام الجبل الغربي.

-تسليط الضوء على المدارس التعليمية والزوايا ودورها في الحياة العلمية.

-معرفة الدور الايجابي للحركة العلمية بالجبل ومدى تأثيرها على باقي مناطق ليبيا.

-اشكالية الدراسة:

ان الموضوع وفي حد ذاته ونظراً لقلة الدراسات حوله، يطرح اشكالية تاريخ اعلام والعلماء الجبل الغربي خلال فترات زمنية متعددة، ولا يمكن إدارتك هذا الهدف إلا من خلال الإجابة على جملة من التساؤلات والتي كان من بيتها:

-ماهي أهم المراكز العلمية التي لعبت دوراً مهما في تطوير الحياة الثقافية في الجبل الغربي؟

-ما دوافع فتح منازل العلماء أمام العامة والخاصة في جبل نفوسة؟ وهل للمرأة الإباضية دور في نشر العلم والثقافة من منزلها؟

-التعريف بأهم علماء واعلام الجبل الغربي ومدى تأثيرهم على المجتمع داخل وخارج الحبل الغربي؟

-ماهي الظروف التي كانت وراء تميز أبناء الجبل الغربي في الحياة العلمية؟ وهل كان لهم أثر في باقي مناطق البلاد؟

- تقسمات البحث:

لقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة: فجاء المبحث الأول بعنوان: **الأهمية الجغرافية والتاريخية لجبل الغربي (جبل نفوسة)** حيث ركز المبحث على الموقع الجغرافي لجبل الغربي وعلى تسميتها وعلى نسب سكانها، كما تناول الاسم والمدلول للجبل وعلى المدارس التعليمية. في حين تناول المبحث الثاني: **دور زاويتي أبي ماضي والعالم في الحركة العلمية في الجبل الغربي**، إذ تم تناول أهمية الزاويتين من خلال الحياة العلمية، وركز المبحث على أهم علماء واعلام تلك الزوايا. وتطرق المبحث الثالث إلى **المبحث الثالث- اسهامات اعلام وعلماء الجبل في نشر العلم:** حيث أعطنا إشارات ذات قيمة على بيوت العلماء ودورها في النهوض بحركة العلمية، وكذلك على بعض العلماء أمثال: سليمان الباروني، والشيخ يحيي معمر.

الدراسات السابقة:

- كتاب: **الإباضية بين الفرق الإسلامية عدد كتاب المقالات في القديم والحديث**، للمؤلف: علي يحيي معمر، كتاب: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، للمؤلف: أبو الربيع سليمان الباروني. وبحث بعنوان: **الحياة العلمية بالجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين**، للكاتب: عبد الحميد عبدالله الهرامة.

الخاتمة:

فقد تم فيها استعراض أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة، ومن هنا نشير إلى أن هذه الدراسة قد ألقت الضوء وإن لم يكن بشكل كامل على العديد من الجوانب العلمية بالجبل الغربي خلال تلك الفترة؛ عسى أن نكون قد وفقنا في ذلك وإن مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة... والله الموفق.

المبحث الأول: الأهمية الجغرافية والتاريخية لجبل نفوسة:

المطلب الأول- الأهمية الجغرافية:

يركز هذا المطلب على أهمية موقع جبل نفوسة (*)، حيث أعطنا صورة متكاملة على ما يضمه الجبل من

(*) جبل نفوسة هو ما يسمى بالجبل الغربي، وفي الحقيقة فإن تسمية الجبل الغربي ترجع للعهد العثماني، ومن المرجح أن التسمية جاءت لتمييز الجبل الغربي عن الجبل الأخضر في شرق ليبيا، وبشكل أصغر فكانت مناطق السلسلة الجبلية تسمى نسبة إلى العشائر والمدن

مناطق لها تاريخ في الحركة العلمية:

الفرع الأول–الموقع الجغرافي:

يقع جبل نفوسة ببلاد المغرب الأدنى وتحديداً في الجنوب الغربي جنوب منها، والجبل عبارة عن سلسلة مرتفعات تمتد من بلاد المغرب الأدنى حتى المحيط الأطلسي، وجبل نفوسة جزء من هذه السلسلة ويتصل طرفه الغربي بالبحر [1]، ويأتي الجبل على شكل هلال يفصل بين إقليم فزان جنوباً وإقليم طرابلس شمالاً، ويصفه الرحالة بالاتساع وقوة التحصين ووعورة المسالك وكثرة الزروع [2].

خريطة موقع جبل نفوسة

مصدر الخريطة: اعلام وعلماء جبل نفوسة: https://www.google.com

ويتكون من عدة مدن وقرى تتوزع على سفوحه وحول ضفاف أوديته، فعلى ضفة وادي "لالوت" تقع مدينة "تغيت"، وإلى شمالها تقع قرية "تاغرويت"، وجنوبها تقع قرية "تكوت" التي تتميز بكثرة نخيلها، وتنتشر العديد من القرى الصغيرة حول تغيت، وعلى ضفاف "وادي اكرين" تقع مدينة "كاباو" المشهورة، وعلى الشرق منها تقع مدينة "فرسطاء" وفي شمالها تقع مدينة "قنطرارة"، ويلي لالوت غرباً مدينة "وازن" وهي على الحدود بين الجبل غرب ليبيا وجنوب تونس، وعلى ضفة الغربية من "وادي شروس" تقع مدينة "تلات"، ويقع غربها مدينة "تنومات"[3].

المجاورة لها كجبال غريان نسبة إلى مدينة غريان، أما جبل نفوسة فهو يقع في الجزء الغربي من جبال يفرن حيث تقيم قبيلة نفوسة. للمزيد ينظر: الجبل الغربي: بحث منشور على موقع ويكيبيديا– الموسوعة الحرة، على الموقع التالي:https://ar.wikipedia.org/wiki

(1) محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص76.

(2) أبو عبدالله محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مجلد11، 2002م، ص279؛ حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط5، 2000م، ص115.

(3) علي يحيي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة: سليمان الحاج، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008م، ص401.

وينقسم الجبل الغربي إلى أربعة أقسام، وتعرف بجبل نالوت (*)، جبل غريان، جبل يفرن، وجبل نفوسة. ويمتد القسم الأخير من الحدود التونسية إلى مسافة 200كم إلى الشرق منها [4].

الفرع الثاني–تسمية ومدلول:

سمي جبل نفوسة بهذا الاسم نسبة إلى أكبر قبائل الأمازيغ في المغرب الأدنى وهي قبيلة "نفوسة" التي تقطنه، ويعد الجبل موطناً لقبائل الأمازيغ الكثيرة ومحل إقامتهم الدائمة، ولاحقا منذ الفتح الإسلامي استقرت به مجموعات من قبائل العرب فشاركوا الأمازيغ في سكناه [5].

وعلى الضفة الغربية لوادي الزرقاء تقع مدينة "أرجان"، وإلى الشمال منها تقع مدينة "نفوسة" مركز الحكم في الجبل في العصر الإسلامي، وإلى الشمال الشرقي منها تقع مدينة طرميسة[6]، وعلى ضفاف وادي شروس تقع أهم مدن الجبل وهي مدينة "شروس" التي فتحها عمر بن العاص سنة 22هـ[7]، ويوجد غربها العديد من القرى والمدن أشهرها مدينة "تندميرة" التي اشتهرت بالعلم والعلماء، وغرب هذه المدينة تقع مدينة "تملوشايت"، وإلى الغرب من تملوشايت تقع قرية تمصمص وطمزين، بالإضافة إلى العديد من القرى المتناثرة ذات الأحياء المنفصلة والتي تتوزع بين أدوية الحبل وهضابه[8].

المطلب الثاني: الأهمية التاريخية لجبل نفوسة:

يركز هذا المطلب على الأهمية التاريخية لجبل نفوسة من خلال انتشار الإسلام وكذلك على بداية النهضة العلمية بالجبل:

الفرع الأول–انتشار الإسلام في جبل نفوسة:

انتشر الإسلام مبكراً في الجبل بين الأمازيغ منذ العام 22 هـ، وانتشر فيما بعد المذهب الإباضي مع نهاية

(*) تعد مدينة نالوت من أكبر مدن جبل نفوسة تقع على قمة الجبل، وتبعد عن العاصمة طرابلس بمسافة مائتين وسبعين كم، وهي شبه جزيرة حيث يحدها من ثلاث جهات أودية عميقة، ومن الجهة الرابعة الشمالية تحدها سهول متبسطة تمتد حتى البحر المتوسط، وهي منطقة كثيفة الأشجار، وبالأخص منها شجرة التين والنخيل ثم شجرة الزيتون. البشير مسعى محمد، الشيخ علي يحيي معمر وجهوده في الدعوة إلى الإباضية، مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، الجزائر، 2018م، ص8.

(4) محمد سالم المقيد الورفلي، بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا، موقع تاوالت الثقافي WWW.tawalt.com

(5) الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طر ابلس، ليبيا، 1968م، ص97.

(6) علي يحيي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص408–413.

(7) الطاهر أحمد الزاوي، المصدر السابق، ص97.

(8) علي يحيي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص408–413.

القرن الأول الهجري بين سكان الجبل بعد وصول الداعية سلمة بن سعد حوالي سنة 95هـ. ومع اعتناق الأهالي للمذهب الإباضي ظهر في قرى الجبل علماء أسهموا في النهضة العلمية بالجبل، واتخذوا من بيوتهم شعاعاً لنشر العلوم والثقافة وتحفيظ القران الكريم للصغير والكبير وتبصير العامة بأصول دينهم وفروعه. وقد عرف هؤلاء في كتب السير باسم علماء نفوسة نسبة للقبيلة الكبيرة المعروفة بالجبل (نفوسة)، والتسمية تمييزا لهم عن بقية علماء الإباضية المنتسبين لجزيرة جربة ببلاد المغرب الأدنى وعلماء الإباضية المنتسبين لوارجلان بالمغرب الأوسط [9].

الفرع الثاني–بداية تطور النهضة العلمية بجبل نفوسة:

يعود تاريخ الحركة العلمية في جبل نفوسة إلى العقد الأول من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) حين قدم سلمة بن سعد إلى بلاد المغرب يدعو إلى المذهب الإباضي [10]، وبحلول القرن 3هـ/9م شهدت الحياة العلمية بالجبل تطور علمي وثقافي كبير ليس على مستوى منطقة الجبل فحسب وإنما هو تطور حضاري في أغلب العالم الإسلامي، فيلاحظ بروز أسماء عدة لعلماء وعالمات في مختلف قرى ومدن الجبل اشتغلوا بأنواع مختلفة من العلوم والفنون، وهذا يفهم من خلال المصادر التاريخية المتاحة. فشهدت المنطقة العربية والإسلامية عموما تطورا ملحوظاً في الحركة العلمية والثقافية، ويعود ذلك التطور نتيجة إلى كفالة حرية التفكير لأهل العلم فالعالم المسلم حر في تفكيره لا يضيره أحد بسبب تأييده أو معارضته لفكرة معينة، وليس كما حصل في أوروبا مثلاً: في فترات متأخرة زمن، عندما حوكم (جاليلو جاليلة) عام 1610م بسبب قوله بدوران الأرض هذه النظرية التي كانت موضع أخذ ورد بين علماء المسلمين في العصور الوسطى ويتناقشون فيها بكل حرية. كما عدا رخاء دول العالم الإسلامي بحيث إن العلم يحتاج في ازدهاره إلى النشاط الاقتصادي لتهيئة الجو المناسب للدراسة وطلب العلم. وكذلك تقدير العالم وأهله فكثير من الخلفاء والحكام اهتموا بالعلم والعلماء وشجعوهم على ذلك بل إن بعض الحكام المسلمين من كان هو نفسه عالما [11]. واهتم علماء الجبل بعلم الفقه اهتماما كبيرا كغيرهم من علماء المسلمين شرقاً وغرباً إلى درجة أن بعض الدراسات المعاصرة ترى أن الحضارة الإسلامية يمكن أن تطلق عليها حضارة الفقه وهو إحدى منتجاتها المتعددة، وهذا ما لوحظ بالفعل في الانتاج العلمي

(9) أحمد بن سعيد الشماخي، السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، جـ1، 1987م، ص90؛ أبو الربيع سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق: محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1987م، ص35.

(10) صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمة إلى مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، لبنان، 1978م، ص251.

(11) توفيق الطويل، العرب والعلم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م، ص66–69.

بالجبل سواء من حيث الدراسة والبحث أو على صعيد التأليف، فإن علم الفقه يحتل الصدارة بين العلوم الأخرى إلى درجة أن العلماء في مختلف تخصصاتهم لا بد أن يكون لأي واحد منهم نصيب وافر في ميدان الفقه.

ويعد علماء الجبل من الرواد ببلاد المغرب في الاهتمام بعلم الفقه، حيث رحلوا إلى بلاد المشرق العربي للدراسة على الفقهاء والعلماء المشارقة، ونشروه في بلادهم وبلاد المغرب، ومن الأمثلة على ذلك: رحلة ابن مغطير الجناوني. وكذلك من الفقهاء الذين كان لهم الأثر البالغ في ترسيخ علم الفقه خاصة وغيره من العلوم الدينية بمنطقة جبل نفوسة، حيث حملة العلم الخمسة الذين خرجوا في رحلة علمية جماعية إلى مدينة البصرة فدرسوا الفقه وغيره من العلوم الدينية على الشيخ أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة [12].

الفرع الثالث–المدارس في الجبل الغربي:

يعد جبل نفوسة مركزاً للعديد من المدارس حيث أنشئت به منذ القرن الثامن الميلادي، عدة مدارس من بينها مدرسة عمرو بن يمكتن بقرية ايفاطمان. وفي القرن العاشر الميلادي اشتهرت بالجبل عدة مدارس من بينها: مدرسة أبي يحيي سليمان بن ماطوس، ومدرسة أبي هارون موسى بن يونس الجلالمي ومدرسة أبي يحيي زكريا بن إبراهيم الباروني، بالإضافة إلى مدرستي: أبي عثمان سعد بن أبي يونس الطمزيني وأبي المنيب محمد بن يانس. وقد استمر نشاط بعض هذه المدارس منذ القرن الثامن وحتى القرن الثالث عشر الميلادي، بينما استمر البعض الآخر مصدر إشعاع علمي حتى القرن السادس عشر الميلادي [13].

وبالرغم من كثرة هذه المدارس وتعدد العلوم التي قدمتها لطلابها، فإنها لم تبلغ من الشهرة ما بلغته المدرسة المنتصرية التي بناها الفقيه أبو محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا بين عامي 1160–1162م في عهد الموحدين أثناء ولاية بني مطروح على طرابلس، وقد أثنى التيجاني على هذه المدرسة بقوله:

"...وبداخل البلد مدارس كثيرة أحسنها المدرسة المنتصرية التي كان بناؤها على يد الفقيه محمد عبد الحميد بن أبي البركات بن أبي الدنيا– رحمة الله تعالي– وذلك فيما بين سنة خمس وخمسين إلى سنة ثمان وخمسين – 1162/1160م– وهذه المدرسة من أحسن المدارس وضعاً وأظرفها صنعاً" [14].

وبما أن رحلة التيجاني التي زار فيها البلاد كانت في القرن الرابع عشر الميلادي، والمدرسة أُسست في القرن الثاني عشر الميلادي، فلنا أن نتصور مدى أثرها الفكري إذ أنها استمرت إلى ما يزيد عن القرنين من الزمن

(12) محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م، ص96.

(13) الصالحين الخفيفي، "دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث الثقافي في ليبيا"، مجلة الشهيد، العددان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون، منشورات: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 2007–2008م، ص29–30.

(14) عبدالله بن محمد التيجاني، رحلة التيجاني، المطبعة الرسمية، تونس، 1958م، ص251، 252.

تؤدي دورها وهي في أوج قمتها.

ومما يجدر ذكره أن التعليم في تلك المدارس لم يكن مقتصراً على الذكور فقط، بل إن هناك مدارس لتعليم البنات، منها مدرسة أمسين بجبل نفوسة، كما وجدت بذات المنطقة بعض المدارس المختلطة التي تتلقى فيها الفتاة دروسها الدينية إلى جانب الفتى، مثل مدرسة أبي محمد خصيب بن إبراهيم في قرية تمصمص، وقد درست بهذه المدرسة فتاة تدعى أم ماطوس وهي أول فتاة ليبية تتلقى تعليماً في مدرسة للفتيان.

وبذلك فإن الجبل الغربي شهد خلال العصور الوسطى ما شهدته غيرها من البلدان الإسلامية من اهتمام بالمراكز التعليمية التي عملت على ترسيخ الطابع الإسلامي بما تقدمه لطلابها من تعاليم دينية، كما نلاحظ ارتباط أسماء كثير من المساجد والمدارس بأسماء الفقهاء مما يعطى مؤشراً على مجهودات هؤلاء المخلصين سواء في تأسيس هذه المنارات أو القيام بأعمالها [15].

المبحث الثاني: دور زاويتي أبي ماضي والعالم في الحركة العلمية في الجبل الغربي:

تعد الزوايا المكان المعد للتعليم في أغلب مراحل التاريخ الإسلامي، وهكذا كان دورها في منطقة الجبل الغربي بتعليم أبناء الجبل الغربي، وقد بلغ عددها تسع هي: (زاوية أبي ماضي، وزاوية العالم وزاوية طبقة، وزاوية أبي زيان، وزاوية الباروني وزاوية الفقهاء وزاوية العميان وزاوية نسمة وزاوية السني)، حيث سيتطرق المبحث إلى التركيز على زاويتي هما: (أبي ماضي والعالم) وإعلامهما:

المطلب الأول-زاوية أبي ماضي:

توجد في أرض أولاد عبد المولي إحدى قبائل ككلة قرب جبل يدعى بـ(أبو ماضي)، وتنسب إليه لقربها منه، كما عرفت هذه الزاوية أيضاً بـ(زاوية الأزهر الصغير) لكثرة روادها من مختلف أنحاء البلاد، وكان يشرف على التدريس بالزاوية شيوخ أمثال: الشيخ أبي يوسف والشيخ الطاهر النعاس والشيخ عيون الغزال الذي يقال إنه أول من جاء بعلم التفسير إلى زاوية أبي ماضي، وكان قد تلقاه على أساتذته من آل النعاس بتاجوراء[16]، وكذلك الشيخ امحمد بن منيع وابنه عبد الحمن، والشيخ الطاهر النعاس الذي انتدب للتدريس بها بعد عودته من الأزهر فتولى التعليم فيها ما بين سنتي 1930-1932م[17].

المطلب الثاني-زاوية العالم:

(15) الصالحين الخفيفي، المرجع السابق، ص30.

(16) عبد الحميد عبدالله الهرامة، الحياة العلمية بالجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة السادية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1984م، ص106-108.

(17) الطاهر أحمد الزاوي، اعلام ليبيا، 182-184.

تقع في ظاهر بين الريانينة والخلايفة قرب وادٍ يدعى بـ(وادي الباقول)، وقد تنسب إلى هذا الوادي فيقال زاوية الباقول. وكان من مؤسسيها الصالح محمد العالم البوسيفي من رجال القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) وهو من أولاد عبد النبي أبي سيف، كما شارك في تأسيسها الأهالي في بلدتي: الريانية والخلائفة بحملات تطوعية. كما كان للزاوية أوقافاً كثيرة ووكلاء كانوا يعملون على تنمية حاصلتاها ويربون لها الماشية، وكان أمر الإشراف عليها لأولاد عبد النبي الثالث بن عبد النبي أبي سيف الذي يرجع إليه نسب مؤسس الزاوية. ومن أشهر أولئك العلماء الذين اتصلوا بالزاوية الشيخ امحمد منيع وابناه عبد الرحمن ومحمد والشيخ أحمد الخازمي الأرفلي والشيخ محمد الأزهري شيخ زاوية طبقة والشيخ ابوالقاسم القلعاوي صاحب الفتاوي الممتازة، والقاضي محمد العكروت الوطني المعروف بين أبناء بلدته، والشيخ البصير الرياني المشهور بتضلعه في مذهب الإمام مالك وبكثرة حفظه لنصوصه، والشيخ محمد الإمام الزنتاني الذي عرف بسعة اطلاعه على المذاهب المختلفة والفتيا بالأقوال المرجوحة عند الضرورة كما اشتهر بمواقفة المشرفة في حركة الجهاد ضد الطليان [18].

المطلب الثالث–أشهر أعلام وعلماء الزاويتين: هم: الشيخ امحمد أحمد منيع والشيخ محمد بن امحمد منيع والشيخ عبد الرحمن بن امحمد منيع والشيخ ابو القاسم القلعاوي والمفتي أحمد بن بشر الرياني والفقيه المجاهد محمد الامام الزنتاني والشيخ محمد البصير الرياني والقاضي محمد منصور العكروت:

–**الشيخ امحمد أحمد منيع:** هو امحمد بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد القادر بن امحمد بن عبد القادر بن عبد الواحد بن إبراهيم بن منيع الرياني موطناً المالكي مذهباً. ولد في أواخر شوال سنة 1203هـ/1788م بالريانية ونشأ بها وتتلمذ على يد الشيخ عيون الغزال، وقد كان له الفضل في تخريج عدد كبير من الفقهاء منهم الشيخ أحمد بن بشر مفتى لواء الجبل، والشيخ النعاس أبو حميرة، وخليل ابن حسن بن يوسف بن سليمان الكرغلي، ومصطفى بن الحاج محمود المقرب المصراتي ومحمد بن أحمد الزنتاني. وقد ترك الشيخ امحمد منيع مكتبة زاخرة بالمخطوطات، عُني الشيخ نفسه بنسخ عدد كبير من محتوياتها – بلغ عددها حوالي ثمانمائة مخطوطة لم يبق منها سوى حوالي مائتي مخطوطة – توفى هذا العالم الجليل سنة 1280هـ/1864م وقد ترك ذكراً طيباً وتلاميذ نجباء ومكتبة خطية قيمة كانت الثروة الحقيقية التي تركها لأبنائه، حيث تضم جَلَّ ما كتب في الفقه المالكي والمكتبة لا تقتصر على الفقه المالكي وتضم كتباً في الحديث والفرائض والتفسير والأدب

(18) عبد الحميد عبدالله الهرامة، المرجع السابق، ص108، 109.

والمواعظ والمنطق والتصوف واللغة والسيرة وغيرها من العلوم والآداب [19].

-**محمد بن امحمد منيع:** ولد بالريانية سنة 1233هـ/1817م وتلقى تعليمه الأولى على يدي والده وحفظ القرآن الكريم، ثم تنقل بين حلقات الأساتذة في زاويتي العالم وأبي ماضي، وسافر إلى جامعة الأزهر عام 1264هـ/1848م، وعاد إلى وطنه عام 1289هـ/1872م بعد أن أجازه كبار علماء الأزهر من أمثال: الشيخ محمد عليش والشيخ حسن العدوي والشيخ إبراهيم السقا، الذين أثنوا على تحصيله العلمي. وقد تولى الشيخ محمد منيع فور وصوله إلى بلده التدريس في زاوية العالم، ثم ذاع صيته فانتدب لمنصب القضاء في ناحيتي: الخلائفة والريانية ثم في نالوت؛ حتى والي طرابلس السيد مصطفى عاصم حينما علم بعلمه وبأفضاله؛ حرر وثيقة تلزم الجميع باحترامه وتوقيره وتنذر من يمسه وأسرته بسوء أو مكروه، وتعفيه من كل المطالب الميرية والأعشار، وذلك بتاريخ ربيع أول 1292هـ/1875م. وبعد توليه تلك المناصب أبى الشيخ الاَّ أن يعود إلى التدريس بزاوية العالم حتى وفاته عام 1305هـ/1887م[20].

-**الشيخ عبد الرحمن بن امحمد منيع:** ولد بالريانية عام 1250هـ/1834م، وهو خليفة الشيخ امحمد منيع في حلقة التدريس، ونشأ في بيئة علمية وتلقى علومه على يد والده بعد أن حفظ القرآن الكريم بزاوية أبي ماضي، ويعرف الشيخ عبد الرحمن بعلاقاته مع المتصوفين. وتولى التدريس بعد وفاه والده إذ جلسه في مجلسه ليلقى دروسه على طلاب كان هو بالأمس زميلاً لهم، ولذا فقد وجد كبار الطلاب في أنفسهم حرجاً من الدخول في حلقته والأخذ عنه حتى بدا من تقريراته ودروسه ما يثير الإعجاب ويستحق الاهتمام، الأمر الذي جذب إليه من تفرق عنه من زملائه الكبار. وواصل التدريس بزاوية أبي ماضي حتى صار فيما بعد وكيلاً للزاوية ثم تحول إلى زاوية العالم وواصل التعليم بها إلى أن توفي سنة 1332هـ/1913م. وبذلك يكون قد قضى عمراً بكامله تقريباً في طلب العلم وتعليمه. ما يربو على نصف قرن من الزمان. ومن الأسماء التي حظيت بدروسه منهم: الشيخ أبو القاسم القلعاوي والشيخ سالم بن المبروك بن سالم المنعي والشيخ امحمد بن عامر العيني والقاضي محمد العكروت وسواهم وهم كُثُر. وتوجه الشيخ إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج وعاد عام 1311هـ/1893م، وتوفى الشيخ سنة 1324هـ/[21].

-**الشيخ أبو القاسم بن علي القلعاوي:** ولد في القلعة إحدى قرى يفرن عام 1300هـ/1880م، وحفظ القرآن

(19) عبد الحميد عبدالله الهرامة، المرجع نفسه، ص110؛ مجموعة مؤلفين، معجم أعلام الاباضية، قسم المغرب، جمعية التراث، دار الغرب الإسلامي، غرداية، الجزائر، ط2، 2000م، ص39-57.

(20) عبد الحميد عبدالله الهرامة، المرجع السابق، ص112، 113.

(21) المرجع نفسه، ص113، 115.

الكريم وتلقى علومه بزاويتي: أبي ماضي والعالم حتى صار بين أقرانه حجة في المذهب المالكي. وكان إلى جانب علمه متميزاً بالورع والتقى الشديدين، ولا يميل إلى الأقوال المرجوحة، ولذا فقد كان قوله الفصل في كل نزاع يطلب الشيخ للبت فيه. وتولى الشيخ الافتاء وكانت له أحكام مبنية على الصلح بين الناس. كان الشيخ قد رفض تولى القضاء في العهد الإيطالي برغم من الترغيب والوسائط التي ارساها المستعمرون وأعوانهم إليه، عامدين إلى ضم الشيخ إلى المتعاونين معهم ليكون في ذلك فتوى عملية بجواز التعامل مع المستعمرين؛ ولكنه كان يدرك هذا الأمر فلم يقع فيه. ومن أهم أعمال الشيخ القلعاوي فتاواه الشرعية، التي ذاع صيتها بين أهالي الجبل واشتهرت لدى عافيه من أعلام طرابلس، حيث كان الشيخ يتحرى في أحكامه بحيث إذا أصدر حكماً جاء مشتملاً على جميع الأركان والشروط وضبط الدعوى وبيان المدعى والمدعى عليه، وتحديد المدعى فيه. ومن آثاره الباقية مختارات أدبية جمعها من مصادر مختلفة بعضها من كتب الصوفية وبعضها الآخر من نفح الطيب للمقري التلمساني، وترجع أهمية هذه المختارات إلى بيان المصادر الأدبية السائدة بين علماء الجبل. توفى الشيخ عام 1372هـ/1952م [22].

-**أحمد بن بشر الرياني:** تلقى تعليمه على يد الشيخ امحمد منيع، تولى القضاء بلواء الجبل، وكان من أعضاء مجلس اللواء حيث لا تصدر الأحكام الا بحضوره، ومن آثاره العلمية شرحه للعاصمية.

-**محمد الإمام الزنتاني:** فقيه جليل واسع الاطلاع على جميع المذاهب الفقهية ومعروف بدعوته وتحريضه على الجهاد ضد الطليان واشتراكه الفعلي في محاربتهم. كان يفتي بأقوال المذاهب الأخرى ولا يتمسك بمعتمد مذهب مالك، وقد نالته ضائقة فرهن أعز كتاب على نفسه وهو "المعيار" للخروج منها، غير أن الذي قصده ليرهن كتابه عنده مقابل سداد حاجته إلا أن يرد عليه كتابه ويقضي حاجته، قائلاً له: إنك تُفيد به الناس، أما أنا فلا أصنع به شيئاً. تولى التدريس بزاوية العالم حتى وفاته فأكرمه أهل بلدته الزنتان فاطلقوا اسمه على إحدى مدارسهم الحديثة.

-**محمد البصير الرياني المقرحي:** من سكان أولاد أبي حسين بالريانية وممن تلقوا دروسهم في زاوية العالم على يد الشيخ عبد الرحمن بن منيع، كان له باع كبير في الفقه المالكي، وكان يخط نصوصاً كثيرة من فقه هذا المذهب ويرشد من يطالع له وهو رجل كفيف إلى مواضيع المسألة المطلوبة من الكتاب الذي يطالعه.

-**القاضي محمد منصور العكروت:** ولد بالخلائفة سنة 1273هـ/1856م، وحفظ القرآن الكريم بزاوية الشيخ عبد السلام الأسمر بزليطن، ثم انتقل إلى زاوية أبي ماضي بككلة التي غادرها متوجهاً إلى زاوية العالم حيث قضى

(22) المرجع نفسه، ص116، 117.

أطول أيام دراسته. تلقى العلم في هذه الزاوية الأخيرة على يد الشيخ: عبد الرحمن، والشيخ عيون الغزال البوسيفي، والشيخ عبد الرحمن منيع.

المبحث الثالث– اسهامات اعلام وعلماء الجبل في نشر العلم:

لقد أظهر جبل نفوسة نخبة من اعلام والعلماء تخصصوا في مختلف العلوم، حيث كان الجبل يعد مركزاً ثقافياً وعلمياً ليس على مستوى ليبيا وحسب، بل على مستوى بلاد المغرب العربي:

المطلب الأول–بيوت علماء واعلام جبل نفوسة ودورها في النهوض بالحركة العلمية:

لقد كانت بيوت علماء الجبل الغربي تفتح أبوابها لتعليم الباحثين عن العلم، وقد استفادة أهل تلك البيوت من: الأبناء والزوجة والخدم والجواري من الاستماع المتكرر أثناء تلاوة الشيخ صاحب البيت سور من القرآن الكريم أو أثناء تعليم طلاب في المجالس العلمية، فعلى سبيل المثال: فإنه شوهد الكثير منها في جبل نفوسة منها: أن ابن غليون (ق4هـ) كان يقرأ في منزله وكانت تقرأ معه ابنته من الجانب الآخر، وتعرض عليه ما حفظته أو لتقرأ ما سمعته [23].

وكانت أخت الشيخ عمروس بن فتح المساكني (ق3هـ) تتابع الدروس معه وتستمع إليه وتساعده في الدراسة والتأليف والنسخ، فعندما كانت في أحد مجالس أخيها عمروس سأل أحدهم عمروساً عن مسألة، فرد عليه أحد الحضور بالإجابة، وقال آخر: أن الشيخ عمروس نعس، فردت أخت عمروس: إن نعس الشيخ فلم ينعس كلامه أي علمه، مشيرة إلى الرد الذي جاء على السائل وأن ما أفاد به ما هو إلا من معين علم الشيخ عمروس، وقد كانت أخته عالمة ومثقفة وحريصة على التعلم والاسهام في نشر العلم، فعندما وفد أبو غانم بشير بن غانم الخرساني على الإمام الرستمي عبدالوهاب ومعه مدونته المشهورة في الفقه التي رواها عن تلاميذه أبي عبيدة، جاز بها على جبل نفوسة، واستودعها عمروساً، وقد طلب عمروس من أبي غانم نسخها فرفض الأخير، وبعد سفره خالفه عمروس وأخذ في نسخها وكانت أخت تملي عليه وهو ينسخ، حيث كان لهذا البيت دوراً مهماً في نشر العلوم التعليمية من خلال تعاون الأخوة ونسخ المدونة المهمة والنادرة في منزلهما، وقد طلب عبدالخالق الفزاني من عمروس أن يكتب له كتاباً يفرز فيه بعض الأسماء فكتب له كتاباً وهو المعروف بـ(العمروسي)، وألف كتباً اهتم فيها بفرز مسائل الفروع في السنة والتنزيل والرأي والإجماع[24].

(23) مقرين بن محمد البغطوري، روايات الأشياخ، تحقيق: عمر لقمان، مكتبة خزائن الاثار، مسقط، سلطنة عمان، 2017م، ص128.

(24) البغطوري، المصدر السابق، ص216؛ الشماخي، المرجع السابق ص201؛ سالم جمعة اغريبيل، مظاهر الحياة العلمية في جبل نفوسة2–5هـ/8–11م، مجلة المنتدي الجامعي، كلية الآداب بني وليد، العدد 28 سبتمر 2021م، ص29–31.

نموذج من مسكن أهل الجبل نفوسة

مصدر الخريطة: اعلام وعلماء جبل نفوسة: https://www.google.com

وفي مسكن العالم النفوسي أبو مسور الأدوناطي (ق3هـ) كانت ابنته تتناقش معه في مسائل كثيرة وفي أوقات مختلفة، وأثناء قيامه وابنته بأعمال المنزل يتحول مجلسهم لمجلس علم، وفي موقف حينما كانت بعض النساء تحضر مجلس الذكر معه[25]، سألته ابنته سؤالاً عما لا تستغني عنه، فقال لها والدها: ألا تستحين مني، فقالت: إن استحيت منك اليوم خفت أن استحى غداً يوم القيامة، لقد كانت النقاشات الدينية سمة عامة بين العلماء وأهاليهم وطلاب العلم، ثمرتها إعداد جيل مثقف وواع يحمل أمانة العلم على عنقه، ويحكم الصلة بكتاب الله، فتستنير بصيرته وتصدق الصورة الناطقة بحقيقة إن الإسلام منهج رباني يبني الحياة[26].

كما جعلت الشيخة زورغ الإرجانية (ق3هـ) وهي عجوز صالحة قد بلغت مبلغاً مهماً معها ثلث علم الجبل[27]، من منزلها مجلساً للذكر، وكان مملوكها مصلوك التائب (ق3هـ) يتردد على مجلسها كثيراً، فعندما تحفظ القرآن تطلب منه أن يستمع إلى عرضها لسور صلاتها[28]، كما زرد عن باكيتا لنفوسي (ق3هـ) أن العلم نشأ في الجبل حتى أن خدمهم وإماءهم إذا خرجن إلى الاستسقاء لا يرجعن حتى يذكرن بينهن مسائل كتاب ماطوس وفيه ثلاثمائة مسألة[29]، وهذا العالم شاع علمه في البلدان فوصلت فتواه جربة وامسيان وورجلان وسلام مليك في المغرب، ونتيجة لذلك الاجتهاد من قبل الإماء حصل بعضهن على العتق مكافأة لهن على العبادة وتعلم العلم والعلوم الدينية، فغزالة آمة كانت تخدم مولاها بالنهار وتجتهد بالعبادة بالليل وتحضر مجالس الذكر وتدخل

(25) البغطوري، المصدر السابق، ص294؛ معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص440؛ أحمد بن سعيد الدراجي، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، ج2، ص316.

(26) الوسياني، سير الوسياني، ص264؛ الشماخي، المرجع السابق ص299.

(27) الوسياني، سير الوسياني، ص546.

(28) البغطوري، المصدر السابق، ص293؛ الشماخي، المرجع السابق ص205.

(29) الوسياني، سير الوسياني، ص273.

كهف فتتعبد إلى آخر الليل وتأتي فجراً لتوقظ مواليها لصلاة الفجر [30].

وذكر الشماخي أن أبا صالح الدركلي (ق3هـ) أخذ العلم من معدنه من أبي الخليل صال الدركلي وأفاد به أهله. حيث كان علماء الجبل من المربيين الذين أدوا رسالة التعليم وحرصوا على أن ينشأ خدمهم وأبنائهم وطلابهم ومواليهم على خلق القرآن والفهم العميق لرسالة الإسلام والدراية بعلم التشريع وإتاحة فرص التعليم للجميع [31].

وكانت الحلقات العلمية تقام في البيوت مثل: بيت "بني عبدالله" وهي دار أبي محمد الدرفي الذي كان حاكما للجبل وكان يحضر مجلسه ليلا العلامة أبي يوسف وجدليش. كما كان بيت أبي در أبان وسيم قبلة لطالبي العلم من الرجال والنساء. كما كان بيت الشيخ أبو القاسم البغطوري (ق3هـ) من أشهر مجالس العلم الذي أخذ العلم من منبعه، وكان من الراسخين فيه، كان يمضى إلى مجلسه أبي هارون الجلالمي فيتعلم ليله حتى يصبح ويعود لمنزله صباحاً، وقد تخصص الجلالمي فيما بعد واشتغل بعلم الأصول فتعلق إليه فروع الفقه، ولم يقتصر ذلك المجلس على منزل البغطوري، إذ كان أبو المهاصر موسى بن جعفر يعقد في منزله مجلساً للعلم ومعه دائماً لواب بن سلام، يتدارسان أمور دينهما ومسائل مختلفة. كما اتخذ عمر بن يمكتن داره في أفاطمان مدرسة لتعليم الصبيان القرآن الكريم [32].

كما أدخل العلماء زوجاتهم النصرانيات للإسلام فأصبحن عالمات، ففي هذا الصدد ذكر أن أبا يحيي الأزدالي (ق3هـ) أنه تزوج نصرانية تدعى (مليانة) فأدخلها الإسلام، وحفظت الكثير من سور القرآن الكريم، وهو ما جعلها أن تكون مرجعاً للنساء والاستشارة والفتوى [33] واتخذ العالم أبو محمد عبيدة بن زارور التغرميني (ق4هـ) بيته مجلساً يفتى فيه للناس، فأصبحت على يديه زوجته العالمة المفتية أم زعرور وابنه مامد، فعرفت باسم زوجة العالم وأم العالم وعلى نهج زوجها سارت ففتحت بيتها للفتيا أيضاً [34]. وكان والد أبا محمد وارسفلاس بن مهدى النفوسي (ق5هـ) من كبار العلماء وممن أخذ عن أبي يحيي الفرفسطائي، وبعد وفاة والده، اردا أن يوسع من معارفه العلمية فتوجه إلى مسكن له بنفوسة، ومكث فيه اثنى عشر سنة يدرس العلم، ويدرس ديوان أبيه ولا يخرج من مجلسه وبيته إلا لحاجة، وكان عالماً متواضعاً؛ أفاده الناس وقبل وفاته أوصى بأن مصاحفه وكتبه، وحتى جبابه حبس لوجه الله لا تورث ولا تباع ولا توهب [35].

(30) البغطوري، روايات الأشياخ، ص218.

(31) أحمد بن سعيد الشماخي، المرجع السابق ص244، 245.

(32) سالم جمعة اغريبيل، المرجع السابق، ص29.

(33) البغطوري، روايات الأشياخ، ص219-222.

(34) مجموعة مؤلفين، المرجع السابق، ص286؛ الشماخي، المرجع السابق، ج2، ص19.

(35) البغطوري، روايات الأشياخ، ص146.

كما كان بيت العالمة أم يحيي الجلالمية يجتمع فيه الباحثين عن العلم ما بين التدريس والنسخ والحفظ والتفسير، وكان يترد على هذا المجلس امرأة تدعى بـ(شكرت الزعوارية) وتجيبها أم يحيي على أسئلتها قبل أن تسأل [36]. كما عرفت نفوسة العالمة أم سحنون التي عرف عنها أنها كانت عالمة تفسير بعض المسائل، وكان أبو هارون دائماً يتردد عليها ليسألها، كذلك سرغينت النفوسية زوجة حمال من وريوري كانت تمتحن الطلاب بالمسائل المختلفة [37]، والعالمة أم الخطاب كان يتردد على مجلسها في اغريمنان أبي زكريا التوكيتي، وأبي المهاصر وقد كانا يرخيان الستر، لحضور عدد كبير من النساء في المجلس. كما كان لأم جلدين (ق4هـ) مجلس يزوره المشايخ للعلم والمناقشة، وكان العلماء يقيمون مجلساً عند العالمة أم الربيع الوريورية (ق3هـ) وكانت مأوى للأخبار وكثيراً ما يلجأ إليها الطلاب للنصيحة، هذا وقد اشتهرت العجوز النفوسية نانا مان (ق3هـ) بين الناس بالصلاح والرأي السديد والعلم والورع والدين خير مثال على ذلك، فعندما تردد أبو عبيدة الجناوني (ق3هـ) في قبول الإمارة، قال لهم: أمهلوني، وذهب إليها في ارجي أزما يستشيرها في الأمر، فأقنعته ونصحته بالإمارة [38] وقد تلقن عالمات نفوسة نصيباً كافياً من العلم مما جعلهنَّ يتبوأنَّ مراكز مهمة في الجبل كتصدرهنَّ لجان امتحان القضاة في منازلهنَّ، لمن عزم حكام نفوسة تقليدهم منصب القضاء في دولة الإسلام التي ترعى العدل والمساواة [39].

لم يستقر العلماء في مكان واحد، بل كانوا يتنقلون من المغرب الأوسط إلى أفريقية أو إلى الجبل، والعكس، فالعالم أبو نوح مثلا أنشا حلقة في زويلة، وهو عالم نفوسي يدعى أبا يخلف استقر بجربة، وكان متقنا لمسائل الحيض فمتى وردت مسألة من هذه المسائل على عالم جربه ألب صالح بكر بن قاسم رفعها إلى أبي يخلف ليتكلم فيها. وقد سن علماء المذهب الإباضي سنة حافظ عليها أتباع المذهب منذ القدم وتتمثل في خروجه إلى البادية خاصة في فصل الربيع للترويح عن النفس ونشر العلم والفضيلة بين يكانها، فقد خرج أبو القاسم وأبو خزر في سنة من السنيين إلى البادية ليعلما سكانها ما جهلوا من فهم أمور دينهم [40].

(36) البغطوري، المصدر السابق، ص244؛ الشماخي، السير، ج1، ص186؛ السياني، سير الوسياني، ص279.

(37) البغطوري، روايات الأشياخ، ص110؛ الوسياني، سير الوسياني، ج2، ص697.

(38) الشماخي، المصدر السابق، ج1، ص158؛ معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ص440.

(39) ناصر علي الندابي، التعليم منازل العلماء ودورها في النهضة العلمية بجبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (ق:3هـ/5م – ق:9هـ / 11م)، على الموقع الإلكتروني التالي:
http://ojs.mediu.edu.my/index.php/majmaa/article

(40) سالم جمعة اغريبيل، المرجع السابق، ص31، 32.

المطلب الثاني–إسهامات سليمان الباروني في الحياة العلمية:

يعد الشيخ المجاهد سليمان الباروني (*) من أبرز الشخصيات التي عرفها تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، ومن أكثرهم علماً وثقافة فقد كان واحداً من ألمع قادة الجهاد في ليبيا أيام الغزو الإيطالي لليبيا. ومما يلفت النظر في دراسة هذه الشخصية ثقافتها الواسعة ومساهماته في نشر العلم.

فحينما بلغة الثامنة عشرة من عمره أستاذنا والده بالسفر لطلب العلم وإلى ما تصبو إليه نفسه بعد أن نال حظاً معتبراً في أصول الشريعة واللغة العربية على يد والده، فأذن له نزولاً على رغبته بالسفر إلى تونس لاستكمال تعليمه، حيث تلقى العلوم العربية في جامع الزيتونة، وكان ذلك حوالي سنة 1888/1305م، وفي رحاب الزيتونة جلس ينهل من علماء فطاحل أمثال: الشيخ محمد النخلي، وقد عرف في تلك الفترة عدد من رجالات الإصلاح الذين استفادوا وأفادوا في ازدهار الحركة العلمية، وقد لبث العلامة الباروني في تونس خمس سنوات، ثم ارتحل بعد ذلك للدراسة في جامع الأزهر لمدة ثلاث سنوات لزيادة تحصيله العلمي، وكان ذلك سنة 1310هـ/1892م، حيث استقامت له الأمور فأنشأ مطبعته التي عرفت بـ(مطبعة الأزهار البارونية) عام 1326هـ/1908م على حسابه الخاص، وقد جاءت من أهم مؤلفاته التاريخية: "الأزهار الرياضية" تتيمناً بكتابه (أئمة وملوك الإباضية) الجزء الأول والثاني، ثم ديوانه الشعري (ديوان الباروني) والكثير من التراث الإسلامي مثل: (ديوان السيف النقاد) وغيره، فوق كتب الحديث الشريف. وفي عام 1908م أسس جريدة (الأسد الإسلامي) حيث كتب افتتاحها بنفسه وتوجه بمقالة في الوحدة الإسلامية وطبع منها آلاف النسخ وأرسلها للبلدان العربية، وقد صدر العدد الثامن من الجريدة الإسلامية وبعدها توقفت الجريدة عن الصدور بعد أن امتدت إليها أصابع النفوذ العثماني، وهو ما جعل الباروني يتوجه إلى تأليف والصحافة ورجع لتونس 1313هـ[41]. وأهتم أثناء وجوده في مصر على تحصيل العلوم وساهم مساهمة فعالة في بناء المدارس، وتعليم الطلاب علوم عصرهم، كما أقبال الباروني على دراسة مؤلفات كبار المؤرخين والإعلام يؤكد لنا مدى الجهد المبذول في كتابة. وأن كتابه: (الأزهار الرياضية) بأقسامه الثلاثة عبارة عن شرح مطول لكتاب سلم العامة والمبتدئين، والذي قام الباروني بالتعليق عليه وبالتحديد عن القسم الذي يتحدث عن تاريخ أئمة الإباضة سواء في الشرق أو الغرب،

(*) ولد الباروني سنة 1287هـ/1873م في مدينة جادو، وهو ابن العلامة الشيخ عبدالله يحيي بن أحمد الباروني، وعائلته موجودة في جبل نفوسة، وقد اختلف في أصلها، فقيل: إن أصلها من العائلة البروانية الموجودة في الجبل الأخضر بعُمان وأنه من أعرق بيوتات الزعامة في ذلك القطر وتسند إليهم مقاليد الأقاليم في عُمان وزنجبار ودار السلام من أفريقيا الشمالية. للمزيد ينظر: أبواليقطان، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، المطبعة العربية، الجزائر، 1956م–9/1.

(41) مبروكة عمر الشيباني، سليمان الباروني، نشأته، حياته العلمية (1873هـ–1940م)، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الثامن والعشرون، السنة 2013، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2013م، ص138–140.

بالإضافة إلى أن من محتوى كتاب سلم العامة هو نفس محتوى كتاب الأزهار الرياضية الذي قام الباروني بالتعليق عليه، وكذلك ورد في كتاب سلم العامة أن الباروني تحدث عن الإمام جابر بن زيد وثنى العلماء عليه في القسم الأول من الأزهار [42].

ثم سافره إلى "وادي ميزاب" بالجزائر من أجل استكمال علومه على يد عالم الدين الشيخ محمد بن يوسف بن عيسي بن صالح اطفيش بعد أن تتلمذ على يده وهو أحد علماء المذهب الإباضي هناك [43]، وأثناء تواجده في الجزائر زار مع مشايخه مدينة القرارة سنة 1314هـ/1895م، والعطف سنة 1315هـ/1896م، وقد ارتبط بمشايخه ارتباطاً وثيقاً وقد توطدت علاقته برجال العلم والأعيان هناك، وكان من أعز أصدقائه بميزات الشيخ أبو اليقظان والشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش بن الحاج أطفيش [44].

والحقيقة، أن الحديث عن نشأة الباروني في أسرة عظيمة عرفت برجالها العلماء وشخصياتها الأدبية والسياسية كان لها الأثر في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، كما ترجم هو لهم في كتابه مختصرة العائلة البارونية، وقد ساعده هذا العامل على صقل شخصيته بما أوجده من الاعتزاز والفخر بسيرة العلماء، وقد أطلق على المدرسة التي بناها في سمائل بعُمان بالمدرسة البارونية، والمدرسة التي أنشاها في يفرن كذلك تحمل نفس الاسم، أما المكتبة التي أنشاها بالقرب ثم المدرسة أسماها بالمكتبة البارونية[45].

وحينما عاد لولاية طرابلس الغرب عام 1898م تم حجزه وتفتيش أمتعته فوجدوا فيها بعض أوراق وجوابات فسَّروها بأنها ضد الدولة العثمانية فكان من ضمن ما وجدوا بين أمتعته مسودات الكتاب الذي كان بصدد تأليفه عن المذهب الإباضي، فتم إيقافه وحكم عليه بالسجن المؤبد، وتم تخفيف الحكم وبعد ذلك أطلق سراحه، في عام 1900م أعيد القبض عليه وحكم عليه بخمس سنوات يقضيها في جزيرة رودس، فلبث الباروني في السجن المخصص للمنفيين من الترك فترة وكان خلال فترة سجنه يحكم الوالي حافظ باشا الذي كان يعمل على تخفيف الحكم عن الباروني فأطلق سراحه بعد عام بضمانة أعيان الجبل وأعيان طرابلس على أن يبقى تحت أعين السلطات وفي عام 1902م غادر الباروني طرابلس إلى مدينة يفرن مركز جبل نفوسة [46].

المطلب الثالث–اسهامات الشيخ علي يحيي معمر في الحياة العلمية:

(42) مبروكة عمر الشيباني، المرجع السابق، ص145.

(43) سعدالله أبوالقاسم، سليمان باشا الباروني والجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد14، 2012م، ص257.

(44) فاضل السباعي، وآخرون، سليمان الباروني المعلم المقاتل، تامنغست للنشر، دمن، د.ت، ص6.

(45) المرجع نفسه، ص138–144.

(46) فاضل السباعي وآخرون، المرجع السابق، ص12؛ مبروكة عمر الشيباني، المرجع السابق، ص140–141.

ولد الشيخ بقرية تكويت من ضواحي مدينة نالوت الواقعة بالجبل الغربي "جبل نفوسة" بليبيا عام 1338هـ/1919م نشأ في أسرة متوسطة الحال، وفتح عينية في بيئة متدينة محافظة [47].

أما حياته العلمية فعندما تأهل للدراسة أدخله والده كتَّاب القرية بإشراف الشيخ العزابي عبدالله بن مسعود الكباوي، فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ قسطاً من القرآن الكريم. وهو ما جعل شيخه عيسي بن يحيي الباروني يوليه اهتماماً خاصاً وعناية أكبر، حيث اصطفاه وقربه إليه، كما التزم بدروس المدرسة وبالبرامج والمناهج المحددة من الحكومة كان يلقنه دروساً أخرى في البيت أثناء أوقات فراغه في علوم أخرى: كاللغة والفقه والأدب، وما إن مرت فترة على ذلك حتى لمع نجمه بين زملائه. فمر شيخنا بمدة أربع سنوات في تلقى العلوم الابتدائية في المدرسة الرسميّة إلى جانب الدروس الإضافة خارجها.

وتتلمذ أيضاً على يد الشيخ رمضان بن يحيي الليني الجربي القادم من جربة التونسية، وقد تلقى على يديه مبادئ العلوم الدينية واشتغل بها موازاة مع دراسته في المدرسة الرسميّة، غير أن الشيخ رمضان لم يقم كثيرا في نالوت؛ فعاد بعد سنتين إلى جربة عام 1927م، حيث لحقه شيخنا علي والتحق بحلقاته، وقد كانت دراسته بمدرسة جامع (ليمس) ببلدة آجيم، وكان مسكنه في أحد بيوت الطلبة بجامع ابن عباس، وقد دامت مدة دراسته على يد الشيخ الليني سنة وبضعة أشهر. كما كان في ذات الوقت بسهم في إلقاء بعض الدروس على الطلبة المبتدئين. وبعد ذلك انتقل إلى صفوف جامع الزيتونة حيث حلقات العلم، فدرس على أيدى علماء كبار مختلف العلوم والفنون، كما كان بحضر حلقة الشيخ محمد بن صالح الثميني التي كان يُلقي فيها دروساً في العقيدة والفقه. وفي عام 1937م غادر تونس عندما بلغته أصداء الحركة العلمية الإصلاحية في ميزات بجزائر التي تزعمها الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، والذي أسس معهداً متطوراً جعل منه خير ركيزة لاستثمار جهوده وتحقيق أهدافه الإصلاحية. وأقام سبع سنوات تتلمذ خلالها على مشايخ منهم: الشيخ إبراهيم بيوض. فقد أسندوا إليه مهمة التدريس بالمعهد، فكان طالباً ومدرساً في آنٍ واحدٍ، مما ساعده على التوسع في البحث والاستزادة من المعرفة. كما تلقى دروساً عن أستاذه الشيخ عدّون في النحو من كتاب "شرح ابن عقيل"[48].

الفرع الأول- نشاطه مؤلفاته:

بلغت مؤلفاته 17 مؤلفاً عدا التعليقات والردود والمقالات والقصائد والأناشيد والفتاوى. ومما يميز الشيخ علي يحيي معمر كتاباته: المناقشة الهادفة، والجدل المقنع اللذين مصدرهما الكفاية العلمية والأصالة في التفكير

(47) علي يحيي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عدد كتاب المقالات في القديم والحديث، مراجعة: بكير بن محمد الشيخ بالحاج، نشر جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر، طبع المطبعة العربية، ط3، (د.ت).

(48) البشير مسعى محمد، المرجع السابق، ص14.

والاقتناع. كما تمتاز مؤلفاته باللغة البسيطة والأسلوب الممتع. وكانت نشاطاته كثيرة حيث شارك في أنشطة معهد الحياة المتنوعة من جمعيات أدبية ومسرحية ورياضية وكشفية وفرق الطرب. وفي رحاب جمعية الشباب الأدبية برز وظهر نبوغه في مجال الأدبية والخطب الحماسية والشعر في مختلف الأغراض، وفي المحاضرات وتأليف المسرحيات. وقد بذل الشيخ جهوداً معتبرة في تأسيس عدة مؤسسات تربوية [49]، فأثمرت جهوده:

-مدرسة ابتدائية في جادو.

-مدرسة الفتح بطرابلس، تديرها جمعية الفتح.

مؤلفاته: خلف الشيخ آثاراً علمية متنوعة في مجالات مختلفة:

أولاً: الكتب:

الفرع الثاني-الإباضية في موكب التاريخ:

في أربع حلقات (مطبوعة). ويعد هذا المؤلف من أهم ما انتجه قلم الشيخ، فهو موسوعة تاريخية ضخمة متكونة من أربع حلقات:

1-الحلقة الأولى: نشأة المذهب الإباضي: يتعرض فيه استعراض المراحل الأولى من نشأة المذهب وتحليل بعض المفاهيم المتعامل بها في الوسط العلمي.

2-الحلقة الثانية: الإباضية في ليبيا: جاءت في قسمين كل قسم عبارة عن كتاب مستقل، تعرض فيه إلى تاريخ الإباضية في ليبيا.

3-الحلقة الثالثة: الإباضية في تونس: ركز على تاريخ الإباضية في تونس والترجمة لأهم أعلامهم.

4-الحلقة الرابعة: الإباضية في الجزائر: جاءت في قسمين واستعرض تاريخ الإباضية في الجزائر.

- **الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث.** هو مؤلف في تاريخ الفرق الإسلامية وآرائهم، حيث ناقش ما يعرف بكتاب المقالات فيما كتبوه عن الإباضية في تاريخهم، وقد طبع الكتاب سنة 1976م في مطابع سجل العرب بمصر، وقامت بنشره مكتبة وهبة بالقاهرة. وطبع للمرة الثانية في الجزائر سنة 1987م في المطبعة العربية بغرداية، وقد طبع عدة مرات في سلطنة عمان.

- **سمر أسرة مسلمة:** يعد المرجع الأول للإطلالة على فكرة العقدى، وقدم فيه مسائل العقيدة بأسلوب تربوي مبسط، وطبع عدة مرات آخرها نشر جمعية التراث، بتحقيق: محمد بابا عمى.

رابعاً: الميثاق الغليظ: يركز في مضمونة من كتاب الفتاة الليبية ومشاكل الحياة وركز المؤلف على قضايا

(49) فوزي بن يونس بن حديد، الشيخ علي يحيي معمر ومنهجه الدعوى، ط1، 1424هـ/2003م، ص48.

الزواج وغيرها. وطبع هذا الكتاب سنة 1972م من منشورات جيل ورسالة بنغازي، ليبيا.

خامساً: الفتاة الليبية ومشاكل الحياة: حمل هذا الكتاب نقاش وتحليل لشيخ في جملة من القضايا المثارة حول المرأة المسلمة.

-الرسائل:

-أجوبة وفتاوي في مسائل فقهية (مطبوع). - صلاة الجمعة: تناول فيه مسألة وجوب صلاة الجمعة أو عدم وجوبها. وأحكام السفر في الإسلام ومسلم لكنه يحلق ويدخن، وغيرها.

البحوث:

-مناقشة للشيخ خليل المزروعي (مخطوط)، وبحث حول أجوبة أبي يعقوب يوسف بن خلفون. وبحث الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة. كما كان له الكثير من المقالات والتعاليق والمسرحيات والقصائد.

توفي الشيخ شهر صفر 1400هـ/15 يناير 1980م ودفن بمقبرة سيدى منذر بطرابلس [50].

(50) علي يحيي معمر، الاباضية بين الفرق الاسلامية عند كتاب المقالات في القديم والحديث، ص: ط.

الخاتمة:

-وصل الإسلام إلى جبل نفوسة على يد القائد عمرو بن العاص سنة 23هـ زمن الخليفة عمر بن الخطاب، وفتح أهم مدنه شروس وكانت عاصمة الجبل آنذاك، حيث تم فتح الجبل صلحا ودخل أهله الإسلام.

-في ظل الحضارة الإسلامية التي تدعوا إلى التسامح والعدالة الاجتماعية والحرية بمختلف معانيها ومستوياتها، فقد تعايشت الأقليات الدينية: (اليهودية -المسيحية) في جبل نفوسة إلى جانب سكانه المسلمين دون المساس بحريتهم الدينية والفكرية والاجتماعية إلى أن تحولوا تدريجيا وبطواعية إلى الدين الإسلامي.

-بفعل التعاليم الدينية الإسلامية توجه سكان الجبل إلى العلم والتعليم، فقاموا بالرحلات العلمية فرادي وجماعات إلى المراكز الحضارية العربية الإسلامية، وعادوا إلى الجبل لنشر العلوم والفنون واهتموا ببناء المساجد والمدارس والزوايا في مختلف قرى ومدن الجبل، وخاصة في المناطق التي تخلو من المدارس والمعلمين وأنشأوا المكتبات العامة، وزودوها بالكتب في مختلف التخصصات وبذلك خلقوا المناخ العلمي لطلاب العلم والمعرفة.

- ظهر بجبل نفوسة عبر القرون الوسيطة العديد من العلماء والعالمات والفقهاء والمفكرين الذين أسهموا بشكل كبير في ازدهار الحركة العلمية والثقافية بالجبل، فقاموا بتدريس الطلاب والتلاميذ الذين صاروا علماء فيما بعد، وقام بعض العلماء والمشايخ بالتجول في قرى ومدن الجبل لنشر اعلم ومحاربة الجهل والاهتمام بالعلوم والفنون بحثا ودراسة، كما ألفوا الكتب في مختلف الفروع والمجالات، وقاموا بنسخها ونشرها.

-ان الحلقات العلمية في الجبل انجبت علماء عظماء لهم مكانة تميزة لكثرة العلم وشدة ورعهم. حيث امتلا الجبل بالعلماء حتى أنه يصعب على أي باحث ان يفيهم حقهم في الدراسة.

-أصبح لجبل نفوسة مكانة علمية وثقافية في بلاد المغرب، فقصده الطلاب من خارج الجبل فدرسوا في مساجده ومدارسه، ورجعوا إلى أوطانهم حاملين معهم علوم الجبل ونشروها في مختلف البقاع.

-رحل العديد من علماء وفقهاء الجبل إلى مناطق أخرى في بلاد المغرب الأدنى والأوسط، وساهموا في نشر الثقافة العربية والإسلامية.

التوصيات:

-اقامة الندوات والمؤتمرات العلمية حول تأثير الحركة العلمية بجبل نفوسة على مناطق من خارج ليبيا.

-احياء المناسبات العلمية في جبل نفوسة.

-إظهار اعلام جبل نفوسة.

-تكريم ومنح علماء الجبل شهادات فخرية.

-ابراز الدور التعليمي للمرأة الليبية في جبل نفوسة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

- أحمد بن سعيد الشماخي، السير، تحقيق: أحمد بن سعود السيابي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، جـ1، 1987م.
-أحمد بن سعيد الدراجي، طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق: إبراهيم طلاي، مطبعة البعث، الجزائر، ج2.
- أبو عبدالله محمد بن محمد الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مجلد11، 2002م.
- أبو الربيع سليمان الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق: محمد علي الصليبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1987م.
- أبواليقطان، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته، المطبعة العربية، الجزائر، 1956م.
- توفيق الطويل، العرب والعلم، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م.
- علي يحيي معمر، الإباضية في موكب التاريخ، مراجعة: سليمان الحاج، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، 2008م.
-علي يحيي معمر، الإباضية بين الفرق الإسلامية عدد كتاب المقالات في القديم والحديث، مراجعة: بكير بن محمد الشيخ بالحاج، نشر جمعية التراث القرارة، غرداية، الجزائر، طبع المطبعة العربية، ط3، (د.ت).
-عبدالله بن محمد التيجاني، رحلة التيجاني، المطبعة الرسمية، تونس، 1958م.
- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط5، 2000م.
- الطاهر أحمد الزاوي، معجم البلدان الليبية، مكتبة النور، طر ابلس، ليبيا، 1968م.
-صالح مصطفى مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمة إلى مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، لبنان، 1978م.
- فاضل السباعي، وآخرون، سليمان الباروني المعلم المقاتل، تامنغست للنشر، دمن، د.ت.
- فوزي بن يونس بن حديد، الشيخ علي يحيي معمر ومنهجه الدعوى، ط1، 1424هـ/2003م.
- مجموعة مؤلفين، معجم علماء الإباضية، قسم المغرب، جمعية التراث، دار المغرب الإسلامي، غرداية، الجزائر، ط2، 2000م،
- محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994م.
- محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.
- مقرين بن محمد البغطوري، روايات الأشياخ، تحقيق: عمر لقمان، مكتبة خزائن الاثار، مسقط،

سلطنة عمان، 2017م.

ثانياً: الرسائل الجامعية:

– البشير مسعى محمد، الشيخ علي يحيي معمر وجهوده في الدعوة إلى الإباضية، مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر، جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي، معهد العلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، الجزائر، 2018م.

ثالثاً: المجلات العلمية:

– عبد الحميد عبدالله الهرامة، الحياة العلمية بالجبل الغربي في النصف الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة السادية، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1984م.

–سالم جمعة اغريبيل، مظاهر الحياة العلمية في جبل نفوسة2–5هـ/8–11م، مجلة المنتدي الجامعي، كلية الآداب بني وليد، العدد 28 سبتمبر 2021م.

– سعدالله أبوالقاسم، سليمان باشا الباروني والجزائر، مجلة الدراسات التاريخية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، العدد14، 2012م.

– الصالحين الخفيفي، "دور التعليم الديني في الحفاظ على التراث الثقافي في ليبيا"، مجلة الشهيد، العددان الثامن والعشرون والتاسع والعشرون، منشورات: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية طرابلس 2007–2008م.

–مبروكة عمر الشيباني، سليمان الباروني، نشأته، حياته العلمية (1873هـ–1940م)، مجلة الوثائق والمخطوطات، العدد الثامن والعشرون، السنة 2013، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2013م.

رابعاً: شبكة الأنترانت:

– ناصر علي الندابي، التعليم منازل العلماء ودورها في النهضة العلمية بجبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (ق:3هـ/5م – ق:9هـ / 11م)، على الموقع الإلكتروني التالي:

http://ojs.mediu.edu.my/index.php/majmaa/article

- محمد سالم المقيد الورفلي، بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا، موقع تاوالت الثقافي WWW.tawalt.com

– الجبل الغربي: بحث منشور على موقع ويكيبيديا– الموسوعة الحرة، على الموقع التالي:

https://ar.wikipedia.org/wiki